مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

الحركات الإسلامية في الجزائر

الجذور التاريخية والفكرية

الطاهر سعود

الكتاب: **الحركات الإسلامية في الجزائر**
الجذور التاريخية والفكرية

المؤلف: **الطاهر سعود**

الناشر: **مركز المسبار للدراسات والبحوث**

التصنيف: **جماعات وأحزاب إسلامية - فكر ديني - فكر سياسي**

الطبعة الأولى، أغسطس (آب) 2012.

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9948-425-01-4

طبعت في مطابع المتحدة للطباعة والنشر United Printing & Publishing

مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

www.almesbar.net

ص.ب. 333577
دبي الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 4774 380 4 971 +
فاكس: 5977 380 4 971 +

info@almesbar.net

مركز المسبار للدراسات والبحوث هو مركز مستقل متخصص في دراسة الحركات الإسلامية والظاهرة الثقافية عموما، ببعديها الفكري والاجتماعي السياسي، يولي المركز اهتماماً خاصاً بالحركات الإسلامية المعاصرة، فكراً وممارسة، رموزاً وأفكاراً، كما يهتم بدراسة الحركات ذات الطابع التاريخي متى ظل تأثيرها حاضرا في الواقع المعيش.

يضم مركز المسبار مجموعة مختارة من الباحثين المتخصصين في الحركات الإسلامية المعاصرة والتاريخية والظواهر الثقافية والاستراتيجية. ويتعاون المركز في هذا الاتجاه مع الباحثين والمراكز والمؤسسات المختلفة التي تتقاطع اهتماماتها مع اهتمامه، وهو ما يضمن تبادل الخبرات وتطوير المهارات الذي يتم عبر تنشيط الحوار بين المتخصصين وتدوير الأفكار بين مختلف الآراء والاتجاهات.

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لمركز المسبار للدراسات والبحوث. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من مركز المسبار للدراسات والبحوث.

الدراسات والبحوث التي يحويها الكتاب تعبر عن آراء كتابها لا عن رأي المركز بالضرورة.

مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

المحتويات

المقدمة 13

الفصل الأول موضوع الدراسة التأسيس المنهجي

1. مشكلة الدراسة 33
2. أهمية الدراسة 41
3. أهداف الدراسة 42
4. أسباب ودواعي اختيار موضوع الدراسة 42
5. مفهومات الدراسة 44
6. حدود الدراسة 47

6 .1 الإطار الجغرافي للدراسة 47

6. 2 الإطار الزمني للدراسة 48

7. مصادر المعلومات 48
8. منهج وأدوات الدراسة 49
9. الدراسات السابقة 50

الفصل الثاني الحركة الإسلامية منازعات التصور ومسالك النظر

تمهيد 89

1. في إشكالية التسمية 90

1 .1 الصحوة والإحياء والانبعاث الإسلامي 93

1. 2 الإسلام السياسي، الإسلامية، الإسلاموية 100
1. 3 الأصولية 109
1. 3. 1 معنى مدحي مناقبي 110
1. 3. 2 معنى قدحي مثالبي 112
1. 4 في مفهوم الحركة الإسلامية 118
1. 4. 1 التعريفات التي تقصر مفهوم الحركة الإسلامية على معنى الجماعة والتنظيم الحركي أو الحزبي 128
1. 4. 2 التعريفات التي تقصر مفهوم الحركة الإسلامية على معنى الحركات السياسية 130
1. 4. 3 التعريفات التي تتجاوز معنى الجماعة والتنظيم وتوسع مدلولات مفهوم الحركة الإسلامية 132
2. الحركة الإسلامية مقاربات، ومنظورات تفسيرية 135
2. 1 مداخل تفسيرية عامة للانبثاق الحركي الإسلامي 136
2. 1. 1 مدخل الأزمة، أو نظرية التحدي والاستجابة 136
2. 1. 2 مدخل الامتداد الطبيعي 139
2. 1. 3 مدخل العدو أو الخطر الخارجي 143
2. 2 - مقاربات تفسيرية أخرى (جزئية) للانبثاق الحركي الإسلامي ... 145
2. 2. 1 المنظور الثقافي 145
2. 2. 2 المنظور السياسي 150
- سقوط «الخلافة الإسلامية» عام 1924 151
- هزيمة العرب في حرب 1967 152
- انتصار الثورة الإيرانية عام 1979 154
- فشل الشعبوية العربية 156
- أزمة مشروع التحديث 158
- غياب الديمقراطية، واستشراء الاستبداد في المجال السياسي 160

2. 2 .3 المنظور السوسيو-اقتصادي 162
- ظاهرة النزوح الريفي نحو المدينة 164
- التهميش الاجتماعي 165
- انسداد آفاق الاندماج في وجه مجتمع المتعلمين 166
3. في اجتماعيات الحركة الإسلامية..... 175
4. الحركة الإسلامية الأشكال والأنواع 186
4. 1 تصنيفات كبرى..... 190
4. 1. 1 تصنيف عبدالمجيد النجار 190
- المشروع السلفي..... 191
- المشروع التحرري 192
- مشروع الإحياء الإيماني الشامل..... 193
- مشروع التصحيح والإصلاح الفكري 194
4. 1. 2 تصنيفات أخرى..... 194
4. 2 تصنيفات صغرى 195
4. 2. 1 التصنيف على أساس مؤشر الفعالية..... 197
- جماعات المحافظة التقليدية..... 197
- الجماعات أو الحركات المهدوية أو الرسولية..... 197
- الجماعات الأكثر نشاطية..... 198
4. 2. 2 التصنيف تبعا لنوع النشاط 198
4. 2. 3 التصنيف تبعا للبنية التنظيمية 199
4. 2. 4 التصنيف تبعا لطبيعة الأهداف 200
خلاصة..... 202

الفصل الثالث المجتمع الجزائري قبل الاستقلال مدخل تاريخي

تمهيد 207

1. **الوضع السياسي** 208
1 . 1 إنهاء الحكم العثماني للجزائر 210
1 . 1 . 1 القضاء على المؤسسات السياسية الرسمية الموجودة..... 210
1 . 1 . 2 طرد الأتراك والكراغلة..... 210
2 . 1 تحطيم النخب القائمة وإزاحة الزعامات التقليدية الوسيطة 211
3 . 1 إنشاء نظام إداري بديل 212
2. **الوضع الاقتصادي والاجتماعي** 214
1 . 2 نزع الأرض 214
2 . 2 تفتيت الملكية الجماعية..... 215
1 . 2 . 2 تفتيت البنية الاجتماعية..... 216
2 . 2 . 2 الاستنزاف الديمغرافي 216
3 . 2 . 2 انتشار البطالة وبروز ظاهرة النزوح والهجرة..... 217
3 . 2 – التحقير العرقي وقوانين الأنديجينا 218
4 . 2 – الإخلال في معادلة الحق والواجب..... 219
1 . 4 . 2 الإجحاف في فرض الضرائب 219
2 . 4 . 2 التجنيد الإجباري 220
3. **الوضع الثقافي والديني** 221
1 . 3 – إنهاء الوظيفة الاجتماعية والثقافية لمؤسسة الأوقاف..... 223
1 . 1 . 3 انهيار المنظومة التعليمية 224
2 . 1 . 3 تدهور أماكن العبادة والمعالم الإسلامية 226
3 . 1 . 3 تدهور منظومة التكافل الاجتماعي..... 227
2 . 3 – تهميش دور مؤسسة القضاء الإسلامي 227
3 . 3 إيقاف الوظيفة الإيجابية للزوايا 228
4 . 3 محاصرة الدين الإسلامي وتجهيل الجزائريين به..... 232
1 . 4 . 3 القضاء على المرجعية الدينية 233

4 .4 .2 التدخل القسري في الحياة الدينية 234
3 .4 .3 إضعاف اللغة العربية 235
4 .4 .3 إشاعة التلويث الأخلاقي في المجتمع العام 236
5 .3 – تغريب المحيط بفرض الطابع المسيحي 237
6 .3 – التنصير والفرنسة 238
1 .6 .3 الكنيسة 238
2 .6 .3 المدرسة 241
7 .3 – تشجيع النزعات الانقسامية 244
1 .7 .3 الفصل العنصري 245
2 .7 .3 إعداد نخبة متغربة 246
3 .7 .3 فتح باب التجنيس 246
4. المجتمع الجزائري استراتيجية المقاومة والاحتجاج 247
1 .4 النخبة الحداثية التركيبة والأفكار 252
2 .4 النخبة الإصلاحية التركيبة والأفكار 255
3 .4 النخبة الوطنية 268
5. الثورة التحريرية والقطيعة النهائية مع النظام الاستعماري، أو السيرورة والمآل 272
1 .5 أدوات النضال الجديد المناقب والمثالب 273
2 .5 الثورة والقضية الأيديولوجية 275
خلاصة 285

الفصل الرابع الحركة الإسلامية الجزائرية
إرهاصات النشأة وسياقات التشكل

تمهيد 291
1. السياق التاريخي لانبثاق وتشكل الدولة الوطنية الجزائرية 292

1 . 1 مشكلة القيادة والصراع على السلطة 293
1 . 2 مشكلة الاختيارات الأيديولوجية 301
1 . 2 . 1 - قراءة في دستور 1963 302
1 . 2 . 2 - قراءة في ميثاق الجزائر 1964 305
1 . 3 التوجهات والخيارات الكبرى للدولة الوطنية
ومضاعفات التنزيل الميداني 307
1 . 4 موقع الإسلام في الدولة الجديدة 312
2. نظام أحمد بن بلة وإرهاصات بروز معارضة إسلامية 320
2 . 1 التيار الإصلاحي من محاولة استئناف النشاط إلى تدشين الاحتجاج 321
2 . 2 جمعية القيم الإسلامية وبداية نشأة العمل الإسلامي 332
3. نظام هواري بومدين الاختيارات الكبرى، وسنوات التراكم بالنسبة للحركة الإسلامية 349
3 . 1 الاختيارات الأيديولوجية 352
3 . 1 . 1- قراءة في ميثاق 1976 354
3 . 1 . 2 - قراءة في دستور 1976 356
3 . 2 الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية
(الثورة الزراعية والثورة الصناعية) 358
3 . 3 الاختيارات الثقافية (الثورة الثقافية) 361
3 . 4 الرؤية الجديدة للعامل الديني وموقع الإسلام في منظومة الحكم البومديني 362
4. الحركة الإسلامية أرضيات التعبئة، ومجالات النشاط 368
4 . 1- الحركة الإسلامية 370
4 . 1 . 1 المسألة الثقافية 370
أ- المسألة اللغوية، أو أرضية الصراع اللغوي 373
ب- المسألة الدينية 383

4. 1. 2 المسألةالأيديولوجية..... 391
4 .2- الحركة الإسلامية مجالات النشاط ووسائل العمل 396
4. 2 .1 المساجد 397
4 .2. 2 الجامعات والفضاءات التعليمية والتربوية 404
5. الحركة الإسلامية الجزائرية 409
5. 1 في البدء كان الإسلام الإصلاحي 413
5 .2 مالك بن نبي وظهور العمل الطالبي الجامعي..... 417
5 .2. 1 مالك بن نبي وتأسيس مسجد الجامعة المركزية..... 422
5 .2. 2 تنظيم ملتقى التعرف على الفكر الإسلامي..... 426
5 .2. 3 تنظيم معرض الكتاب الإسلامي..... 428
5. 3 التوسع والانقسام الفكري والحركي، أو بداية نشأة المدارس الحركية والتنظيمية في الجزائر 433
خلاصة..... 439

الفصل الخامس الحركة الإسلامية الجزائرية الجماعات الرئيسية، حدود الاقتراب والافتراق

تمهيد..... 443
1. جماعة مسجد الطلبة أو جماعة «الجزأرة» أو «جماعة البناء الحضاري» كمقدمة تأسيسية للتجربة الحركية الإسلامية بالجزائر..... 443
1 .1 جماعة البناء الحضاريالنشأة والتأسيس..... 444
1 .2 التسمية والشهرة وبعض خصائص النواة المؤسسة 451
1. 3 جماعة البناء الحضاري والعلاقة بالإخوان المسلمين أو الإخوان كتجربة وليس كنموذج 460
1. 4 جماعة البناء الحضاري والعلاقة بالمعطى المحلي 464
1. 5 جماعة البناء الحضاري ومصادر التلقي والتكوين 467

2. الحركات ذات النفَس الإخواني، أو الإخوان العالميون
والإخوان المحليون 477
2 .1 علاقة الإخوان بالمغرب العربي والجزائر 478
2. 2 الفضيل الورتيلاني والعلاقة بالإخوان المسلمين 481
3. جماعة الشرق الإسلامية، أو جماعة جاب الله، أو الإخوان المحليون 483
3 .1 فيظروف النشأة والتأسيس والروايات المتضاربة..... 485
3 .2 التسمية والشهرة وبعض خصائص النواة المؤسسة..... 490
3 .3 جماعة الشرق والعلاقة بالإخوان المسلمين 494
3 .4 جماعة الشرق والعلاقة بالمعطى المحلي 498
3. 5 جماعة الشرق ومصادر التلقي والتكوين 499
4. جماعة الوسط (البليدة)، أو جماعة محفوظ نحناح،
أو الإخوان العالميون 507
4 .1 جماعة محفوظ نحناح النشأة والتأسيس 507
4 .2 التسمية والشهرة وبعض خصائص النواة المؤسسة..... 516
4 .3 «جماعة محفوظ نحناح» والعلاقة بالإخوان المسلمين..... 518
4 .4 «جماعة محفوظ نحناح» مصادر التلقي والتكوين،
والعلاقة بالمعطى المحلي 523
خلاصة..... 530

الفصل السادس الحركة الإسلامية الجزائرية نماذج من الإنتاج الأيديولوجي

تمهيد..... 535
1. ملاحظات أولية حول الإنتاج الأيديولوجي للحركة الإسلامية في
الجزائر 535

2. مؤشرات على بعض التحولات في الخطاب الأيديولوجي للحركة الإسلامية في الجزائر 543
3. نماذج من الإنتاج الأيديولوجي للحركة الإسلامية في الجزائر 546
3. 1 مجلة التهذيب الإسلاميالجانب الشكلي 547
3. 2 محتويات وكتّاب مجلة «التهذيب الإسلامي» و«Humanisme Musulman» .. 547
3. 2. 1 الوصف الكمي للموضوعات..... 548
أ- فئة التحليل 548
ب- وحدة التحليل 548
ج- عرض النتائج الكمية في جداول إحصائية وتحليلها 551
3. 2. 2 نماذج من الموضوعات المطروحة في صحف جمعية القيم .. 558
3. 3 عبداللطيف سلطاني قراءة في بعض إسهاماته الفكرية 569
3. 3. 1 الجانب الشكلي للكتابين 570
3. 3. 2 نماذج من الموضوعات المطروحة في الكتابين 570
خلاصة 587
خاتمة 589
ملحق الوثائق والمرفقات والصور 627
فهرس المصادر والمراجع 641

مقدمة

عاودت الظاهرة الدينية -بعد انحسار- شغل مساحة هامة ومجال خصب من الاهتمام العلمي والفلسفي المعاصر، فبعد فشل الطروحات النظرية والأفكار الفلسفية التي بشرت بموت الإله، وبموت الدين، بسبب ما أشاعته من ثقة في أن للعلم والعقل الإنساني وحدهما القدرة على قيادة مصائر الإنسانية، وبينما كانت البحوث الميدانية في الخمسينيات والستينيات موجهة كلها تقريبا للبرهنة على مقولة ضياع الدين، نلاحظ في الفترة الراهنة أن البحوث الجارية في أمريكا وفي أوروبا تنزع إلى تأكيد التواجد الديني على امتداد الفضاء الاجتماعي في كليته، وعلى عودة المقدس من جديد[1].

وإذا كان هذا حال الدراسات الميدانية المهتمة بما هو آني فإن الكثير من الدراسات والطروحات الاستشرافية تبرز هي الأخرى أهمية وحضور المعطى الديني في صنع وصياغة المستقبل البشري، ولعل أبرز مثال على ذلك الطرح الهنتنغتوني حول صدام الحضارات الذي يشغل فيه البعد الديني حيزا هاما[2].

إن النزوع نحو الدين قد غدا من أهم الميزات التي تطبع عصرنا هذا بميسم خاص، بل تتوالد الكثير من الظواهر ذات الصلة بموضوعة الدين من رحم الحضارة المعاصرة نفسها؛ وفي أحضان المجتمعات الغربية بعدما غالت هذه الأخيرة في نظرتها المادية للإنسان، حتى أصبحنا نسمع الكثيرين يتحدثون عن عودة جديدة للدين (Religion) والتدين (Religiosité)، ويرددون بأن القرن الحالي سيكون قرن الروح أو قرن التدين[*].

---

(1) عبدالباقي الهرماسي، «علم الاجتماع الديني: المجال، المكاسب، التساؤلات»، في: عبدالباقي الهرماسي «وآخرون»، الدين في المجتمع العربي، ط 2، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000)، ص 30.

(2) الطاهر سعود، «نهاية التاريخ، صدام الحضارات، شعوب بلا دول..ثم ماذا؟ أو حوار الحضارات كضرورة إنسانية»، الملتقى الوطني حول حوار الحضارات 17/16 ماي 2005، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق، جامعة باجي المختار-عنابة.

(*) ينقل جون فرانسوا مايير موقف البعض من مستقبل الأديان فيؤكد على أن الفلسفات العقلانية ذهبت إلى القول بأن الأديان في القرن الحالي ستغدو في أحسن الأحوال مجرد بقايا فلكلورية أو مخلفات لأشياء ثمينة من الماضي، بينما ذهب البعض الآخر وهم قلة إلى التنبؤ بخمود وانقضاء وتهميش الأديان بسبب سيادة العقلانية والعلمانية، وينقل في الأخير رأي PeterBerger

وقد عبر عن ثنائية (انحسار-رجوع الدين) بكيفية مثيرة للانتباه جيل كيبل عندما كتب يقول «منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحيز السياسة يبدو وكأنه ظفر باستقلاله الذاتي عن الدين بصورة حاسمة، وفي نهاية المطاف طالما اعتبر فلاسفة عصر التنوير رواده الرئيسيين...كان الدين يرى إلى نفوذه يضيق ويتقلص نحو الدائرة العائلية أو الخاصة؛ بحيث أنه لم يعد كملهم لتنظيم المجتمع...ولا يظهر إلا كثمالة من الماضي، وهذا المنحى العام...اتخذ أشكالا...تتغير وتتنوع وفق الأمكنة وبحسب الثقافات...كانت الصلة بين الدين ونظام المدينة تبدو طيلة سنوات الستين تتراخى إلى انفصام وبصورة كان العلماء وأهل الملل من المثقفين يجدونها مثيرة للقلق، وهكذا فإن العديد من المؤسسات الكنسية جاهدت..لاحتواء ما كانت تعتبره نفور الرعية من كهنتها وإيمانها، وانجذابا إلى العلمانية...واجتهدت في تكييف مقالاتها على قيم المجتمع الحديثة... وقد وقعت ظاهرات مماثلة في العالم الإنجيلي(البروتستانت)، بل وفي العالم الإسلامي... وهذا المسعى هو الذي بدأ ينقلب بكله... في حدود عام 1975، فقد بدأ يتكون خطاب ديني جديد لا يهدف إلى التكيف مع القيم الدنيوية، وإنما إلى إعطاء تنظيم المجتمع أساسا قدسيا...ويدعو إلى تجاوز حداثة فاشلة كان يعزو فشلها إلى الابتعاد عن الله... اتخذت هذه الظاهرة منذ خمس عشرة سنة(*) بعدا كونيا وشملت المعمورة كلها، فقد انبعثت في حضارات تختلف في أصلها الثقافي مثلما تتباين في مستوى نموها»[1].

فحضور الديني قد مس البشرية قاطبة سواء في المجتمعات الغربية التي حققت

الأستاذ بجامعة بوسطن والمعروف على المستوى العالمي وهو مختص في علم اجتماع الأديان الذي خلصفيه إلى أن: «نزع العلمنة هو الطابع الذي سيميز العالم في هذا القرن»

(conclut que la théorie de sécularisation s'est trompée et annonce rien moins que ladésécularisation du monde.

أنظر لمزيد اطلاع:

Jean-François Mayer.<Religions. spiritualités et sociétés au XXIe siècle: perspectives pour la sécurité à l'horizon 17-10-2002] 2025]>. disponible sur: <http ://www.religioscope.com/info/article/1___2025___014.htm>.

(*) أي سنة تأليف الكتاب، أما نحن فإنه يفصلنا عن الظاهرة أكثر من 30 عاما.

(1) جيل كيبل، يوم الله، الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث، ترجمة نصير مروة، ط 1 (قبرص: دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، 1992)، ص ص 9-10.

أعلى معدلات للضمانات الاجتماعية، أم على صعيد المجتمعات المتخلفة، بل حتى على صعيد المجتمعات التي ناصبت الدين العداء وطردته من مجال الحياة الاجتماعية والاعتقاد القلبي(*). فعلى صعيد العالم الغربي نلمس ذلك الإقبال على الدين (ولو بدرجات متفاوتة) هروبا من النزعات المادية والوجودية والعدمية والفلسفات الإلحادية التي غذت فراغ الإنسان الغربي في مجتمع الإنتاج والاستهلاك الوفير بما حققته له حضارته الفاوستية.

أما على صعيد العالم الإسلامي فقد ظهرت تلك اليقظة الروحية والنزعة نحو العودة إلى الجذور،أو ما أصبح يعرف بظاهرة الصحوة والإحياء الإسلامي كأحد أبرز الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن نلمس تجسداتها الواقعية في العودة الكبيرة لقطاعات واسعة من الناس إلى الدين، وفي الممارسات الفردية والجماعية للشعائر الدينية، وفي زيادة عدد المساجد والمراكز الدينية، وأدوات التوعية والاتصال والدعوة، وكم ونوع الكتاب الديني المطبوع والمباع...وتشكُّل رأي عام عريض من العامة والمثقفين مناصر لقضايا الإسلام ومبادئه، أصبح يطالب بتحكيمها في واقع المجتمعات الإسلامية[2].

إلا أن اللافت للانتباه هو أنه على الرغم مما يشغله موضوع الدين من حضور في الحياة اليومية ومن انعكاسه في مستوى بناء الشخصية، ومن حضور في صياغة التاريخ الاجتماعي والسياسي.. وحضور في تشكيل الواقع،وعلى الرغم أيضا من الزيادة في الطلب الاجتماعي على الدين، إلا أن الدراسات العربية التي تعنى بهذا المجال البحثي المهم في النطاق العربي قليلة(**). وإذا ما قارنا هذا الواقع البحثي العربي بنظيره الغربي سنجد

(*) يمكن أن ندلل على ذلك بما آلت إليه روسيا بعد سقوط الشيوعية أو بولندا وكيف ألهمت الكاثوليكية ممثلة في شخص البابا يوحنا بولس الثاني حركة التمرد والمعارضة للنظام الشيوعي بقيادة ليش فاليزا. أما الصين الشيوعية فإنها تعرف متاعب كبيرة بسبب بروز بعض الحركات الدينية واستقطابها لفئات واسعة من المجتمع الصيني مثل حركة Falun Gong.

(2) الطاهر سعود، «واقع التدين في المجتمع الجزائري»، باتنة: مجلة الإحياء،كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلاميةجامعة الحاج لخضر،العدد الثامن، (2004)، ص 437.

(**) ذكر أحد الباحثين العرب في معرض حديثه عن الإنتاج العلمي العربي المهتم بالظاهرة الدينية أن المتتبع لحركة النشر الجامعي والرسائل والأبحاث الجامعية يلاحظ ندرة في هذا الصدد، ففي عام 1983 نشر الكتاب السنوي لعلم الاجتماع قائمة بالمنشورات ذات الصلة بعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس والاتصال ضمت حوالي 725 عنوانا كان من بينها ثلاثة كتب فقط في علم الاجتماع الديني.. لمزيد من الاطلاع، إنظر: حيدر إبراهيم علي، «الأسس الاجتماعية للظاهرة الدينية ملاحظات في علم اجتماع الدين»، ضمن كتاب، الدين في المجتمع العربي، عبدالباقي الهرماسي وآخرون، الطبعة الثانية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000)، ص 49.

أننا دون المستوى المطلوب، فعلى الرغم من أن مساحة تأثير الدين في مناشط الحياة الغربية متواضعة قياسا إلى مساحة تأثيره في مناشط الحياة العربية إلا أن حجم الدراسات والكتابات العلمية الغربية المهتمة بالموضوع في محيط مجتمعاتها كبير ومهم، بل يتعدى اهتمامها إلى الاشتغال على الظاهرة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

وفيما يتعلق بالحركات الدينية فقد نشط باحثون غربيون وتخصصوا في دراستها(*)

في أصول تشكلها وانبثاقها (سواء كانت حركات جهادية ثورية، أم حركات صوفية، أم حركات فكرية...) وفي أبعاد تمظهرها الآني الواقعي، وفي مآلاتها المستقبلية، كدراستهم لحركات الإسلام السياسي. وتبعا لذلك أيضا نشأت ونشطت مجموعة من مراكز البحوث والدراسات،وتأسست مراكز مختصة جعلت من اهتماماتها البحثية الكبرى الاشتغال على موضوع الحركات الدينية،وبخاصة ما يصطلح عليه اليوم في تلك الأدبيات بالحركات الأصولية أو الإسلاموية. فمنذ ما يقارب الثلاثة عقود من الزمن حاول باحثون وأكاديميون وصحفيون وسياسيون جاهدين تفكير وإعادة تفكيرما يسمى «ظاهرة الأصوليةالإسلامية»، وهو ما أنتج زخما معرفيا كبيرا من المقالات والبحوث والدراسات والتحقيقات؛ فقد رصدت إحدى الباحثات الألمانيات وهي «هانالوكه» الكتابات الصادرة باللغة الألمانية بين عامي 1967 و1990 فأوردت 604 عنواناً، صدر القسم الأكبر منها سنة 1979 بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، إضافة إلى أنها رصدت قائمة أخرى للمصادر التي صدرت باللغة الإنجليزية والمنشورة بين عامي 1988 و1994 فضمت 1246 عنواناً(1).

وفي النطاق العربي والإسلامي برز بعض الاهتمام الداخلي المتفاوت بحركات الإسلام السياسي - تبعا لحجم حضورها ونشاطيتها في هذه المجتمعات- من قبل دوائر الحكم بسبب ما شكلته بعض هذه الحركات من خطر وتهديد للأمن العام وللاستقرار

(*) مثل برنارد لويس، ريتشارد هرير دكمجيان، جون أوسبوزيتو، مارتن كرامر، مايكل ويليس، جيل كيبل،فرانسوا بورغا، أوليفييه روا، برونو إتيان، أوليفييه كاريه... وغيرهم كثير.

(1) انظر:الأصوليةالإسلامية بين العنف والديمقراطية.خدمة كامبردجبوكريفيو، (الأربعاء27نوفمبر2002). متوفر على الموقع: www.aljaseera.nethttp

السياسي؛ ومن قبل بعض المثقفين والجامعيين الذين تخصصوا فيها، أو كتبوا حولها(*).

ورغم هذا التراكم المعرفي إلا أنه لايعد-كما يرى البعض- إلاجزء بسيطاً من الأدبيات التي كتبت ولا زالت تكتب عنهذاالموضوع.

إذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بالظاهرة الإسلامية في عمومها، فإن الأمر فيما يتعلق بالحركة الإسلامية في الجزائر ربما يدعونا إلى مراجعة هذا التعميم.

حقيقة لقد شغل موضوع الحركات الإسلامية بكافة ألوانها الفكرية والأيديولوجية وتنوعاتها المذهبية وتوزعها الجغرافي (حركات مغاربية، حركات شرق أوسطية، حركات إسلامية جنوب شرق آسياوية...)اهتمامات عديد الباحثين والمراكز المتخصصة؛ إلا أن ما كتب عن الحركة الإسلامية الجزائرية إذا ما قورن بما كتب عن حركات إسلامية أخرى من الحركات الممتدة على محور طنجة-جاكرتا يعد -في تصورنا وفي حدود ما اطلعنا عليه من كتابات- غير مرضٍ(**)، وبالخصوص على الصعيد الكيفي والنوعي لأن كثيرا من هذه الدراسات والكتابات-إذا استثنينا بعض الدراسات الجادة-تقترب من الظاهرة بخلفيات أيديولوجية وحساسيات فكرية وأحكام سلبية مسبقة، ولا تعدو أن تكون في بعض الأحيان

(*) من بينهم: حسن حنفي،سعد الدين إبراهيم، عبد الرحيم لمشيشي، محمد عبدالباقي الهرماسي، محمد الطوزي، عروس الزبير...

(**) عثرنا في هذا الصدد على كشافين بيليوغرافيين (Cataloguesbibliographiques) أصدرتهما سنة 2003مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء-المغرب ضمن سلسلة «بيبليوغرافيات» يتناولان «الحركات الإسلامية في البلدان المغاربية». اختيرت كمادة لهذين الفهرسين الوثائقيين معلومات أو تحليلات أو مواقف عن الحركات السياسية ذات المرجعية الإسلامية في البلدان المغاربية الخمسة.يجمع الكشاف الأول كل الكتابات التي صدرت باللغات الفرنسية والإنجليزية والإسبانية لكتاب جزائريين وعرب وغربيين حول الحركات الإسلامية في دول المغرب العربي منذ سنة 1970 إلى سنة 2003. خصص المحور الأول للمصادر (كتب مقالات، ندوات..) التي عالجت موضوع الحركة الإسلامية في الدول الخمس مجتمعة، بينما خصصت المحاور الأخرى من هذا الكشاف لعرض الدراسات ذات الصلة بالموضوع بحسب كل بلد، فكان عدد الدراسات المنجزة حول الحركة الإسلامية في الجزائر 481 عملا منشورا بين كتاب ومقال... من بين 764 دراسة احتواها هذا الكشاف. أما الكشاف الثاني فخصص للكتابات الصادرة باللغة العربية واشتمل على 350 عمل منشور كان نصيب الدراسات الخاصة بالحركة الإسلامية في الجزائر 143 عمل. انظر لمزيد اطلاع:

Les Mouvements Islamistes au Maghreb (Maroc, Algérie, Tunisie, Mauritanie, Libye) BIBLIOGRAPHIES- 1.] Consulté le: 14/03/2008[.disponible sur:<http://bibmed.mmsh.univ-aix.fr/synthese_biblio/latin/mouvement_lat.pdf>;

وأيضا:

<http://bibmed.mmsh.univ-aix.fr/synthese_biblio/arabe/mouvement_ar.pdf>.

تصويرا إعلاميا وسردا صحفيا يجافي الحقائق حينا، ويهوّل بعض المعطيات حينا آخر، وقليلا ما يصيب في تحليل الظاهرة ويقف على حقيقتها.

إن بعض هذه الكتابات تحول إلى ما يشبه الموضة الفكرية؛ فعندما خبر المجتمع الجزائري الأزمة السياسية والأمنية بعد سنة 1992 تحول الموضوع لدى البعض إلى وسيلة للكتابة من أجل التكسب(*)، أو الظهور بمظهر المطلع على الأحداث والخبرة بشؤون الحركة الإسلامية، أو على الأقل مجاراة الحدث في تمظهراته اليومية.

أما إذا جئنا إلى مناقشة أسباب هذا القصور المعرفي بخصوص الاهتمام الأكاديمي بموضوع الحركة الإسلامية الجزائرية، وعزوف الباحثين-عدا القلة- فيميادين علم الاجتماع والتاريخ والعلوم السياسية في النطاق الجزائري... عن البحث والكتابة فيه، فإننا يمكن أن نتحدث في هذا الصدد عن جملة من المعوّقات والإكراهات حالت و مازالت تحول دون البحث العلمي الأكاديمي في هذا الموضوع أو التخصص فيه، منها:

1- الظروف التي خبرتها الحركة الإسلامية في الجزائر منذ نشأتها؛ إذ غلب على نشاطها وحركيتها طابع النضال السري، بسبب أن المجال السياسي كان مغلقاً منذ تولت جبهة التحرير الوطني زمام السلطة في الجزائر وحسمت خيار الآحادية الحزبية، وبسبب القبضة الحديدية للنظام الحاكم، وعدم سماحه بالتعبير عن التنوع السياسي والتنظيمي والثقافي، وبالخصوص خلال فترة حكم الرئيس الراحل هواري بومدين. كل ذلك حتم على الأنوية الأولى للحركة الإسلامية الناشئة مثل هذا المسلك (أي السرية) في العمل والنضال،

(*) من المفارقات التي سجلناها ونحن بصدد جمعنا لبيليوغرافيا عن موضوع بحثنا وقوفنا على بعض التجاوزات، لقد اطلعنا على كتاب لمجموعة من الجزائريين صدر مترجما عن الفرنسية بلبنان بعنوان: الإسلاموية السياسية: المأساة الجزائرية، للثلاثي زهرة بن عروس، أمقران آيت إيدير، فلة ميجك بمساعدة عبد الحميد بومزبر وجميلة عزين،، ترجمة غازي البيطار، ط 1 (بيروت: دار الفارابي، 2002)، كتب بلغة أقل ما يقال عنها إنها متحاملة على الحركة الإسلامية. الغريب أن هذا الكتاب نفسه صدر باللغة الفرنسية بمساعدة المفوضية العامة لسنة الجزائر في فرنسا ولكن هذه المرة باسم عبد الحميد بومزبر وجميلة عزين ولم ترد الأسماء الثلاثة الأخرى إلا في التشكر؟؟، فمنصاحب الكاتب الأصلي؟ انظر:Lislamisme Algérien De la genèse au terrorisme.(Algérie: Chihab Edition, 2002).كما صدرت في هذا الصدد كتابات للعديد من الصحفيين الجزائريين نذكر منها: احميدة عياشي،الإسلاميون الجزائريون بين السلطة والرصاص، (الجزائر: دار الحكمة، 1992)، سلسلة دفاتر صحفية، إشراف: أحمد ماضي. محمد تامالت، الجزائرمن فوق بركان حقائق وأوهام 1988-1999، (لندن: دار الحكمة، 2000). Aissa Khelladi. Les islamistes Algériens face au pouvoir.(Algérie: editions Alfa, 1992).وغيرها من الكتابات.

وهو ما يصعب على كل من يريد الاهتمام بالموضوع على الخوض فيه لأنه يفتقد إلى أهم شيء وهو المعلومة.

2- تفريط وعدم اهتمام قياديي الحركة الإسلامية الجزائرية ورموزها الفكرية والتنظيمية بمختلف تياراتها وفصائلهاوتوجهاتهابالكتابة في الشأن الفكري بوجه عام، وفي الكتابة عن تاريخ حركاتهم بوجه خاص-حتى تكون كتاباتهم وشهاداتهم مادة للبحث بين أيدي المتخصصين باعتبارها تشكل جزء من الذاكرة الجزائرية، وجزء من التاريخ المعاصر للمجتمع الجزائري-يسند هذا المسلك منهم حالة من عدم الإحساس بأهمية تسجيل الأحداث وتدوين التاريخ.لذلك لا نكاد نعثر على أي كتاب أو مقال أو شهادة إلا فيما ندر، والأمر خلاف ذلك عندما نأتي للحديث عن الحركة الإسلامية في المشرق العربي والعالم الإسلامي؛ فالوثائق والمراجع والشهادات والكتابات متوفرة بالكثرة التي تسهل على الباحثين معالجة الموضوع بالكيفيات العلمية المطلوبة وربما يرجع هذا التفريط إلى(*):

- خصوصية المرحلة من حيث انحسار مجال التعبير الحر الشفوي أو المكتوب، وبالخصوص في الموضوعات والرموز التي تعارض القناعات والخياراتالأساسية والخطاب الأيديولوجي للدولة، نظرا للطابع الدكتاتوري والشمولي لأنظمة ما بعد الاستقلال التي جعلت العمل المعارض إسلاميا أو يساريا أو... عملا سريا مع ما يتطلبه هذا النوع من الحركة والنشاطية من الحذر واللياقة الأمنية.

- طبيعة الجزائريين الذين اشتهروا في تاريخهم بقلة الكتابة وتفضيل العمل والنضال اليومي على معاناة الكتابة. وقد عبر عن هذه الإشكالية كثير من الدارسين، بل اتهمنا البعض-وهم محقون في ذلك- بعدم اهتمامنا في الماضي البعيد والقريب بالكتابة وبالوثائق والآثار والتاريخ، مؤكدا على أن الجزائريين كانوا دائما غير مكترثين بالمحافظة على الوثائق. ويؤكد آخرون على أن الجزائريين كان موقفهم من تاريخهم عجيبا للأوربيين، ففي صميم حي القصبة مثلا لا تجد هناك لافتة ولا أية كتابة تدل على المراحل الرئيسية

(*) تتقاطع الحركة الإسلامية في الجزائر في هذا الجانب مع بعض الحركات الإسلامية كالحركة الإسلامية في السودان، أنظر: محمد بن المختار الشنقيطي، الحركة الإسلامية في السودان، مدخل إلى فكرها الاستراتيجي والتنظيمي، ط 1 (لندن: دار الحكمة، 2002)، وقد استقينا بعض هذه الأفكار عنه من الصفحة 52، يراجع كذلك كتاب: الطيب برغوث، أضواء على تجربة جماعة البناء الحضاري الإسلامية في الجزائر، طبعة تجريبية، ص ص 9-16.

لكفاحهم ضد مظليي الجنرال ماسو[1]. ويشهد على هذا المسلك ما تمتع به بعض علماء الجزائر من سمعة علمية، ومن ثقافة موسوعية، إذا ما قورنوا بنظرائهم من المشارقة، إلا أنهم كانوا أقل ميلا للكتابة والتدوين كالشيخ البشير الإبراهيمي وحمودة بن الساعي... وغيرهم كثير؛ ولعل ما أُثِر عن الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذا الصدد في قوله «شغلنا بتأليف الرجال عن تأليف الكتب»، بعض التفسير لذلك.

- الأصول الفكرية لرواد العمل الإسلامي الجزائري وطبيعة تكوينهم؛ إذ انحدر كثير منهم من الكليات العلمية والتقنية[2]، ولا يخفى أن هؤلاء -بحكم طبيعة تخصصهم وتكوينهم العلمي والتقني- أبعد ما يكونون عن الكتابة والاشتغال بها، وبالخصوص إذا كانت في غير تخصصهم.

- الاهتمام بالدعوة المبنية على المشافهة واللقاء والكلمة المسموعة وبالمستجد اليومي حال دون الكتابة، لما تتطلبه من خلوة وتركيز وتأمل، وهو ما لم يكن متاحا لهؤلاء لأن جهود البناء التنظيمي والتثقيف والحركة لم تترك الجو الذي يهيئ ويساعد على الكتابة.

- الخوف من المدوّن والمكتوب وتفضيل الثقافة الشفوية لأنها أأمن على الحركة والعمل، ولأن ما يكتب يُخشى عليه -في ظروف العمل السري الذي يجرّم عليه القانون بأقصى العقوبات الجنائية- من الوقوع بين أيدي الأجهزة الأمنية أو الخصوم، فكان هذا العامل سببا في العزوف عن الكتابة والتدوين.

- النزعة الزهدية والتطهرية لبعض رواد العمل الإسلامي في الجزائر، فالحديث عن التأسيس أو عن الحركة يعني الحديث عن الذات، عن النفس، وكل ذلك مظنة للوقوع في «الرياء». لذلك أحجم البعض عن الحديث أو الكتابة، ولعل هذا المسلك جعل الكثيرين إلى اليوم رغم تغير الظروف، وتوفر مساحة مهمة من حرية الكتابة والتعبير يحجمون عن التأريخ لحركاتهم، أو على الأقل تقديم شهاداتهم ومذكراتهم مثلما تفطن إليه كثير من

---

(1) مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ط1، جزءان (الجزائر: دار البعث للطباعة والنشر، 1985)، ج2، ص 362.

(2) انظر: شهادة رشيد بن عيسى في:
François BURGAT. L'islamisme au Maghreb. La voix du Sud. Edition revue etaugmentée. (France: Editions Payot et Rivages. 1995). p154.

مجاهدي حرب التحرير؛ حيث نشطت منذ مدة حركة كتابة المذكرات مثلما فعله الرائد لخضر بورقعة في مذكراته شاهد على اغتيال ثورة، ومذكرات علي كافي، وخالد نزار، وأحمد طالب الإبراهيمي، ومحمد حربي... وغيرهم.

- رغم انتفاء بعض تلك الموانع بالنسبة لبعض تشكيلات الحركة الإسلامية (حركة النهضة، وحركة حمس مثلا) فإننا لم نعلم أن هذه التشكيلات (وقد تحولت إلى أحزاب سياسية مكفولة ومحمية قانونا) بما تتوفر عليه من إمكانيات نشر وحرية كتابة... قد أنجزت في هذا الصدد كتبا أو مطبوعات عامة تعرّف بتاريخها النضالي الخاص أيام الحزب

الواحد وتعبر عن وجهة نظرها الرسمية فيه. ويبدو أن ذلك يجد بعض تفسيره في جملة من الاعتبارات التي تمنع هذه الحركات من نشر شيء مكتوب عن تاريخها حتى لا تكون مسئولة مباشرة عن كل ما يرد فيه من أحداث ووقائع (اتباع مسالك معينة، تبني مواقف خاصة في تلك المرحلة...)، وبالتالي تكون المساحة واسعة للمناورة والاختيار،كما تتيح لها التحلل مما لا ترغب في تحمله، مما يمكن أن يثيره الخصوم أو المنافسون.

3-وما جعل الوضعية أكثر سوءا الاصطدام السياسي والعسكري العنيف والدموي الذي شهدته الجزائر مطلع التسعينيات من القرن الماضي، ووفاة وهجرة واختفاء وانسحاب كثير من صانعي الظاهرة والحدث الإسلاميين، وهو ما أسهم -من دون شك- في زيادة الغموض الذي اكتنف ويكتنف تاريخ الحركة الإسلامية الجزائرية،وبقاء جانب كبير من تاريخها (الفكري والتنظيمي) معتما بسبب ضياع ميراث تاريخي هائل كان يمكن أن يتحول إلى تراث مكتوب يستعين به الباحثون في دراسة ظروف النشأة ولحظات التطور(*).

4- ويتحدث البعض (**) عن سبب آخر وجيه برأيهم يجعل من الكتابة والتأريخ للحركة الإسلامية في هذه المرحلة مشوبا بجملة من المحاذير، فالحديث عن التأسيس وتاريخ

(*) كمثال على ذلك فإن الصراع الدموي في الجزائر ذهب بالعديد من العناصر القيادية لمختلف تيارات الحركة الإسلامية الجزائرية، فمحمد بوسليماني كقيادي كبير في التيار الإخواني اغتيل على أيدي الجماعات المسلحة، والشيء نفسه حصل لقيادي تيار البناء الحضاري محمد السعيد. أما محفوظ نحناح فرغم أنه توفي بطريقة طبيعية إلا أنه لم يترك شيئا مكتوبا في هذا الصدد، والقائمة طويلة بالنسبة لمن هاجر أو اختفى أو انسحب، وحتى بعض القياديين الذين لا يزالون على قيد الحياة (محمد التيجاني بوجلخة، عبدالله جاب الله، عباسي مدني...) لم نسمع أنهم كتبوا أو يحضّرون للكتابة حول هذه القضية.

(**) مثلما أبرزه لنا في مقابلة معه مراد زعيمي أحد قدامى حركة النهضة الإسلامية.